المعجزة في فكر المدرسة الإصلاحية الحديثة

أمجاد عبد العزيز الفرج

محاضر بقسم الدراسات الإنسانية، الكلية الجامعية بالخفجي،

جامعة حفر الباطن المملكة العربية السعودية

من ١٣٩٥إلى ١٤٥٦

The Miracle in the Thought of the Modern Reform School

Amjad Abdul Aziz Al-Faraj
Humanities Department, Khafji University College, Hafr Al-Batin University/

المعجزة في فكر المدرسة الإصلاحية الحديثة.

أمجاد عبد العزيز الفرج
قسم الدراسات الإنسانية، الكلية الجامعية بالخفجي، جامعة حفر الباطن، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني:maalfaraj@uhb.edu.sa

مستخلص البحث

الأهداف: بيان الجذور الفكرية لفكرة المدرسة الإصلاحية الحديثة، والإفصاح عن أهم زعمائها.وتحديد موقف رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة من المعجزات، والكشف عن حقيقة فكرتهم. والتأكيد على أنَّ الدليل الأول الذي يجب أن يُعوّل عليه هو الدليل الشرعي الذي جاء بما يلائم العقول ولا يعارضها.

• المنهج: المنهج الوصفي التحليلي لعرض الوقائع والنصوص، وتحليلها ونقدها.

واتَّبعتُ الخطوات التالية:عزوت الآيات إلى موضعها من السور.وعزوت الأقوال المقتبسة إلى مرجعها في الهامش.ورددت المعلومات إلى مصادرها الأصلية مباشرة، وإن احتجت إلى الإحالة سأُنَبِّه على ذلك في الحاشية. ثمقمت بعمل فهارس فنِّية، وهي: الآيات، الأحاديث، المصادر والمراجع، المحتويات.خاتمة.

وأهم النتائج:يرى رجال المدرسة أن الأصل الأول الذي يقوم عليه هذا الدِّين هو العقل، وتقديمه عند التعارض.وأن السبب في إنشاء هذه المدرسة هو ما كان المسلمين عليه من الجهل والفقر والاستبداد، فرأوا أنه لا يمكن حل هذه المشكلة إلا بانفتاح المسلمين على الحضارة الأوروبية، وفهم الدِّين على أساسها.وأن العقل والسنن الكونية والعلم الحديث أو التجربة الحسية هم الذين منعوا رجال المدرسة من إثبات المعجزات. وأن المقصد الذي أراده رجال المدرسة من إنكار المعجزات أنها لا توافق ما يقرره العقل ونتائجه ومقدماته؛ لذا أنكروا جميع المعجزات، وأثبتوا القرآن فقط؛ بحجة أنه جاء ليخاطب العقول، فأثبتوه لهذا الغرض.وأن من أنكر معجزة من معجزات الأنبياء والرسل، فقد أنكر نبوتهم؛ لكون المعجزة والنبوة سيّان، لا يمكن قبول واحد دون الآخر.وأدى إنكارهم لمعجزات الرسول ﷺ إلى القول بعبقريته.

الكلمات المفتاحية:المعجزة ، فكر ،المدرسة، الإصلاحية، الحديثة.

The Miracle In The Thought Of The Modern Reform School.

Amjad Abdul Aziz Al-Faraj
Humanities Department, Khafji University College, Hafr Al-Batin University. Saudi Arabia.
Email: maalfaraj@uhb.edu.sa

Abstract:

• Objectives:. Revealing the intellectual roots of the idea of the modern reform school, and
disclosing its most important leaders.. Determining the position of the men of the modern reform school of miracles, and revealing the truth of their idea.
3. Emphasizing that the first evidence that should be depended on is the legal evidence
that came in what suits minds and does not contradict them.
• The approach: the descriptive analytical approach to presenting the facts and texts;
analyzing and criticizing them.
• The following steps were followed: 1. I attributed the verses to their places in the surah. 2. I attributed the quoted sayings to their reference in the margin. 3. I returned the information to its original sources directly, and if I needed a referral, I would point out that in the footnote. 4. I made technical indexes, which are: verses, hadiths, sources, references and contents. 5. Conclusion.
• The most important results: - The men of this school see that the first principle upon which this religion is based is mind, and it should be taken into consideration when there is conflict. - The reason for establishing this school is the ignorance, poverty and tyranny that the Muslims were upon, so they saw that this problem could not be solved unless Muslims opened up to European civilization and understood religion on its basis. - It is the mind, universal traditions, modern science or sensory experience that prevented the men of the school from proving miracles. - The intent that the men of the school wanted from denying miracles is that they do not agree with what the mind decides, its results and premises; So they denied all miracles, and only confirmed the Qur'an; On the pretext that it came to address the minds, so they proved it for this purpose. - Whoever denies one of the miracles of the prophets and messengers, he /she has denied their prophecy because miracles and prophecy are the same, one cannot be accepted without the other. - Their denial of the miracles of the prophet led them to claim his genius.

Keywords:The Miracle ; The Thought ; The Modern ;Reform ;School.

مقدّمة:

الحمد لله الذي بعث رسله بالحق؛ ليكونوا حجة على الناس، يوم لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، ومن اتبع هداهم إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

اقتضت حكمت الله إرسال الرسل إلى خلقه؛ ليبيّنوا لهم سواء السبيل، ولم يرسل الله تعالى رسولًا ليبلغ الناس الدِّين ويعلمهم الشريعة، إلا وأيّده بالآيات الباهرات التي تدلُّ دلالة واضحة على أنه مرسل من عند ربه، ومن هنا جاءت ضرورة المعجزة، وواجب إظهارها؛ ليتم بها المقصود من تبليغ الرسالة، وإقامة الحجة الإلهية على الناس، فالمعجزة هي دليل صدق الرسل عليهم السلام، وهي النقطة الأساس لإثبات النبوات. وللأسف مع ذلك كله نجد من يسمَّون بالمصلحين أصحاب المدرسة الإصلاحية الحديثة، يقفون موقف الضد أمام هذه المعجزات؛ بحجة أن العلم الحديث لم يثبت تلك الخوارق، متأثرين في ذلك بالحضارة الغربية؛ فكان لزامًا على طلاب العلم أن يردّوا هذه الفكرة، والانحراف الذي وقع فيه هؤلاء من العصرانيين؛ حتى يبان الحق في المسألة، بعرض ما احتجوا به لنصرة قولهم، ثم يُرَدُّ عليهم بالأدلة النقلية والعقلية لأصحاب العقول التي لا ترى غير سبيل العقل دليلًا ومرشدًا.

مشكلة البحث:

تحديد المنهج الفكري الذي سار عليه رجال المدرسة الإصلاحية في باب السمعيات.. معجزات الأنبياء، وتوضيح الأسباب والدوافع التي دفعتهم إلى اتخاذ المنهج العقلي والاعتماد عليه.

الأهداف:

١. بيان الجذور الفكرية لفكرة المدرسة الإصلاحية الحديثة، والإفصاح عن أهم زعمائها.

٢. تحديد موقف رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة من المعجزات، والكشف عن حقيقة فكرتهم.

٣. توضيح الأسباب والدواعي التي دفعت بعض علماء المسلمين في عصر من العصور إلى الانحراف الفكري عن المنهج الحق.

٤. التأكيد على أنَّ الدليل الأول الذي يجب أن يعول عليه هو الدليل الشرعي الذي جاء بما يلائم العقول لا يعارضها.

المنهج:

حسب طبيعة الدراسة، فإنَّني استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي؛ لعرض الوقائع والنصوص وتحليلها ونقدها، واتَّبعتُ الخطوات التالية في إعداد البحث:

١. عزوت الآيات التي سيرد ذكرها في البحث إلى موضعها من السور.

٢. عزوت الأقوال المقتبسة إلى مرجعها في الهامش.

٣. رددت المعلومات إلى مصادرها الأصلية مباشرة، وإن احتجت إلى الإحالة سأُنَبِّه على ذلك في الحاشية.

٤. اقتصرت على ترجمة ثلاثة من رجال المدرسة، والذين هم دعامتها، والتي نهضت المدرسة على أعتابهم.

٥. قمت بعمل فهارس فنِّية للبحث، وهي:

أ. فهرس المصادر والمراجع.

ب. فهرس المحتويات.

خطة البحث:

تشتمل الخطة على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وهي كالتالي:

مقدمة: ذكرت فيها مشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطة سير البحث.

المبحث الأول: أشهر رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جمال الدين الأفغاني.

المطلب الثاني: محمد عبده.

المطلب الثالث: محمد رشيد رضا.

المبحث الثاني: نشأة المدرسة الإصلاحية الحديثة، ومنهجها في خوارق العادات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة المدرسة الإصلاحية الحديثة.

المطلب الثاني: منهج رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة في خوارق العادات.

المبحث الثالث: موقف رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة من المعجزة والرد عليهم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقفهم من معجزات الأنبياء.

المطلب الثاني: موقفهم من معجزات محمد □.

المطلب الثالث: الرد عليهم بالأدلة النقلية والعقلية.

خاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول:
أشهر رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جمال الدين الأفغاني.

المطلب الثاني: محمد عبده.

المطلب الثالث: محمد رشيد رضا.

المطلب الأول
جمال الدين الأفغاني

- **اسمه ونسبه ومولده:**

اسمه: جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني، اتفق من ترجموا للسيد جمال الدين على أن اسمه محمد جمال الدين واسم أبيه صفدر. وقد حرّف هذا الاسم من كتبوا ترجمته بالعربية، فقالوا: صفتر.

وصفتر لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وهو مركب من كلمة (صف) العربية و(در) وصف من فعل دريدان الطارسي بمعنى افترس واقتحم[١].

وزعم محمد عبده أن نسبه ينتمي إلى السيد علي الترمذي المحدِّث المشهور، ويرتقي إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب[٢].

وقد كتب أبو الهدى الصيادي من الأستانة إلى السيد رشيد رضا قائلًا: «إني أرى جريدتك طافحة بشقائق المتأفغن جمال الدين الملفقة، وقد تدرجت به إلى الحسينية التي كان يزعمها زورًا، وقد ثبت في دوائر الدولة رسميًا أنه زنداني من أحلاف الشيعة....»[٣].

- **مولده:**

ولد جمال الدين سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨- ١٨٣٩م)[٤].

أما مكان مولده، فقد اختلفوا فيه:

---

(١) العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده (١٧).

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، محمد رشيد رضا (١/ ٢٧).

(٣) المصدر السابق (١/٩٠).

(٤) العروة الوثقى، لجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده (١٧)، تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٢٧)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين (٦٠)، جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر لمجدي عبد الحافظ (٥٤).

فقيل: إنه ولد في أسعد آباد قرية من قرى كثير من أعمال كابل، تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام، من بيت عظيم في بلاد الأفغان، وقيل: إنه ولد في أسد آباد قرب همدان من أعمال فارس، وتعلم في مدينة قزوين ومدينة طهران، ثم سافر إلى الأفغان، وليس أفغاني الجنسية، وقيل: إن والده من أهالي مازندران إحدى ولايات إيران، وكان ضابطًا في الجيش الإيراني أوفدته حكومته إلى بلاد الأفغان لمهمة، فطابت له السكنى هناك، وتزوج وولد له جمال الدين في إيران وحمله معه صغيرًا.

وهذا قول آخر جمع بين الأقوال السابقة: وهو أنه فارسي الأصل، أفغاني المنشأ[١].

فهو وإن كان في الحقيقة فارسيًا، فقد انتسب إلى الأفغان؛ لأمرين:

١. أن يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السنّي لا الشيعي.

٢. أن يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الإيرانية لرعاياها في الخارج.

وهذا الخلاف في معرفة من أين هو؟ وما البلاد التي كان منها؟ يرجع إلى الغموض والاضطراب فيما يتعلق بحياة جمال الدين الأفغاني[٢]، فليست هناك وثائق صادرة من جهات رسمية يُذكَر فيها مكانه[٣].

أما عن مذهبه الديني: فقد نسبه البعض إلى بلاد الأفغان والبعض الآخر إلى إيران، فمن نسبه منهم إلى إيران؛ لأنهم اتفقوا فيما بينهم على أن مذهبه شيعي، وهم الإيرانيون والعراقيون وكثير من الباحثين الغربيين.

ومن نسبه إلى أفغانستان: لأنهم اتفقوا فيما بينهم على أن مذهبه سني، وهم بقية المؤرخين والمعاصرين لجمال الدين، وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وأديب إسحاق، وشكيب أرسلان [٤] وغيرهم.

---

(١) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى فوزي (١٠).

(٢) العروة الوثقى (١٧، ١٨)، تاريخ الأستاذ الإمام (٢٧/١).

(٣) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى فوزي (٩).

(٤) جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر (٥٥).

فمن نسب إليه أفغانيته فقد رجع إلى تصريحات جمال الدين في قوله: «لقد جمعت ما تفرَّق من الفكر، ولممت شعث التصوُّر، ونظرت إلى الشرق وأهله، فاستوقفني الأفغان، وهي أول أرض لمس جسمي ترابها»[(١)].

- **نشأته:**

لا يعرف مصدر لتاريخ نشأة جمال الدين، إلا ما تحدَّث به عن نفسه إلى تلاميذه، فقالوا: إنه لما بلغ الثامنة من عمره أجلسه والده لطلب العلم، وعني بتربيته، فبدأ العناية به؛ قوة في فطرته، وإشراقه في قريحته، وذكاء في مدركته، فتلقَّى علومًا جمة برع في جميعها؛ فمنها العلوم العربية، وعلوم الشريعة، وعلوم عقلية من منطق وفلسفة وعلوم رياضية ونظريات الطب والتشريح، واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من عمره، ثم سافر إلى الهند، فأقام بها سنة، تعلم خلالها شيئًا من العلوم الأوروبية وأساليبها[(٢)].

وأتى بعد ذلك إلى الأقطار الحجازية؛ لأداء فريضة الحج وعمره تسعة عشر سنة (١٩)، فمكث فيها نحو سنة وهو ينتقل من بلد إلى بلد، حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣م فوقف على كثير من عادات الأمم التي مر بها في سياحته، ثم رجع بعد أداء الفريضة إلى بلاده (أفغانستان)، ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الأمير دوست محمد خان، وكان عمره ثلاثة وعشرين (٢٣) سنة، فعينه رئيسًا للوزراء، فلعب دورًا بارزًا في تلك الصراعات التي لا زالت دائرة بين الأمراء؛ للوصول إلى كرسي الحكم، ولكن الغلبة كانت للأمير شير علي خان، فرحل الأمير محمد أعظم خان إلى إيران، وبقي جمال الدين في كابل محاطًا بالحراسة والإقامة الجبرية، ثم إنه طلب السفر إلى الحجاز؛ للتخلص من هذا القيد، فسُمِح له بمغادرة أفغانستان، فذهب إلى الهند، وعاش أعزب لم يتزوج، متنقلًا في البلاد منذ طفولته، لم

---

(١) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام (٩، ١٠)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث (١٠٦).

(٢) العروة الوثقى (١٩)، تاريخ الأستاذ الإمام (٢٨/١) بتصرف يسير.

يتعلق ببلد من البلاد على أنه وطن، ولم تدخل فكرة الوطنية بهذا المعنى في مذهبه الاجتماعي[١].

- **نشاطه العلمي:**

من المميزات للسيد جمال الدين الأفغاني: أنه أحدث نهضتين اجتماعيتين، وهما:

١) نهضة اجتماعية علمية.

٢) نهضة سياسية[٢].

بدأ السيد جمال الدين نشاطه العلمي في أفغانستان، وواصل دراسته في الهند. هذا من ناحية التلقي، أما من ناحية التعليم فقد بدأ أول ما بدأ في الهند عند خروجه في المرة الثانية، حيث ألقى بعض الدروس، ولم تكن تلك الفترة من الكفاية؛ إذ إنه لم يلبث سوى شهر واحد غادر بعدها إلى مصر، حيث وفد عليه بعض طلبة العلم في الأزهر من السوريين فشرح لهم كتاب الإظهار، وهو كتاب في النحو، وكانت تلك الفترة كسابقتها حيث غادر إلى الأستانة، ثم عاد إلى مصر مرة ثانية، حيث ازداد نطاقه العلمي وبلغ أوجه؛ فبدأ التدريس في الأزهر، وقد كان يلقي فيه من الدروس ما أحفظ عليه بعض علماء الأزهر، فناظره أحدهم مناظرة أدت إلى المنافرة فترك الأزهر وانقطع للتدريس في منزله[٣]، فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية، وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الإسلامي[٤].

وقد وصف الإمام محمد عبده منزلة جمال الدين من العلم، فقال: «أما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي إلا بنوع من الإشارة

---

(١) ينظر: العروة الوثقى (٢٨)، تاريخ الأستاذ الإمام (١/ ٢٨)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث (١١٨)، دعوة جمال الدين الأفغاني في الإسلام (١١).

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام (٧٤/١).

(٣) المصدر السابق (٤٠/١).

(٤) المصدر السابق (٣٢/١).

إليها لهذا الرجل سلطة على دقائق المعاني، وتحديدها وإبرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلت له وله قوة في محل ما يعضل منها، كأنه سلطان شديد البطش فنظره منه تفكك عقدها...».

ثم يقول: «وله لسن في الجدل، وحذق في صناعة الحجة، لا يلحقه فيهما أحد»[١].

ثم سافر بعد مصر إلى الهند، وكان له حلقة للتدريس، لكنها لا تماثل حلقته في مصر، واشتغل فيها بالتأليف عن التدريس.

- **مؤلفاته:**

لم يكن للسيد اهتمام كبير في التأليف، بل كان همه أن يلقي كلماته وخطبه على تلاميذه إلقاء، فيبادر بعضهم إلى تسجيلها، فقد كان يكره الكتابة ويتثاقلها، فلم يكن له عناية بالتأليف، ووجّه عنايته فيما يريد تدوينه إلى الصحف، فكانت معظم كتاباته في الصحف والمجلات، فإذا أراد إنشاء مقالة ألقى على كاتب، مثل: إبراهيم اللقاني إلقاءً قلّ ما يراجعه ويصلحه.

ومنها: ما ألفه باللغة العربية وهو (تتمة البيان في تاريخ الأفغان)[٢].

وله كتاب آخر، كتبه في حيدر آباد في الهند، فكان باللغة الفارسية، وهو كتاب مشهور في الرد على الدهريين، وعنوانه: «رسالة في إبطال مذهب الدهريين، وبيان مفاسدهم، وإثبات أن الدِّين أساس المدنية، والكفر فساد العمران»[٣].

«ومجلة الخافقين» تصدر بالعربية والإنجليزية، كان يكتب فيها مقالات يفضح فيها حكومة الشاه[٤]، أما بقية مؤلفاته: فمقالات نشرها في الصحف والمجلات كطبع مستقل، وكان لاشتراك الإمام محمد عبده محمد في مجلة

---

(١) المصدر السابق (٣٤/١).

(٢) دعوة جمال الدين في ميزان الإسلام (٢١).

(٣) ينظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث (٧٧)، دعوة جمال الدين (٢٥).

(٤) زعماء الإصلاح في العصر الحديث (٩٨).

«العروة الوثقى» وعدم تسمية صاحب كل مقال فيها أثر كبير في الخلط في نسبته إلى صاحبه.

وهناك من كتاباته في بعض المجلات ما لم يُدوّن، منها ما كتبه في الصحف الروسية[١].

- **وفاته:**

وافته المنيَّة في يوم الثلاثاء ٧ شوال ١٣١٤هـ الموافق ٩ مارس ١٨٩٧م[٢].

المطلب الثاني

محمد عبده

إن كان السيد جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة، فإن محمد عبده هو الذي أقام صروحها، ودعا إليها، ونشرها بين الناس، فكان بحق هو صاحبها وهو أستاذها وإمامها الأول، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه السيد جمال الدين.

وهنا: نترجم للإمام محمد عبده؛ لنتعرف على بعض ملامح حياته.

- **اسمه ونسبه:**

هو محمد بن عبده بن حسن بن خير الله من آل التركماني[٣]. حدث عن نفسه، فقال: «كنت أسمع المزاحين من أهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان، فسألت والدي عن ذلك، فأخبرني أن نسبنا ينتهي إلى جد تركماني جاء من بلاد التركمان»، وقال: «أما بيت والدتي فيقال: إنه عربي قرشي، وأنه يتصل في النسب بعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن ذلك كله روايات متوارثة لا يمكن إقامة الدليل عليها»[٤].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٨١)

(٢) العروة الوثقى (٢٧). وينظر: تاريخ الأستاذ الإمام (٩١/١، ٩٢).

(٣) الأعلام، الزركلي(٢٥٢/٦).

(٤) تاريخ الأستاذ الإمام (١٦/١).

- **مولده ونشأته:**

ولد محمد عبده سنة ١٨٤٩هـ، وقيل: عام ١٨٤٥[١] في قرية ريفية مصرية تُسمَّى محلة مصر، إحدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحرية[٢].

تعلّم القراءة والكتابة في منزل والديه، دون أن يذهب إلى «الكُتّاب»، وبعد أن جاوز الصبي العاشرة من عمره أتمَّ حفظ القرآن على حافظ خاص.

ثم ذهب إلى «الجامع الأحمدي» في طنطا؛ ليتعلّم تجويد القرآن وقواعد اللغة العربية، وصد عن طلب العلم؛ لرداءة التعليم فيها حسب قوله[٣]، فعاد إلى بلده ليشتغل بالزراعة، وتزوج يومئذ على حداثة سنه[٤].

ثم ألزمه والده الذهاب إلى طنطا للتعليم، فاستطاع الهرب في الطريق إلى بلدة «كنيسة أورين»، ولجأ إلى أحد أخوال أبيه واسمه الشيخ «درويش»، فأقام عنده خمسة عشر (١٥) يومًا، انتقل بعدها إلى طنطا؛ خوفًا من والده الذي وجهه إليها للدراسة، ثم انتقل إلى الأزهر، فداوم على الدراسة إلى أن اتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني أول سنة ١٢٨٧م، فلازمه ثماني سنين، فتلقّى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية.

وعرض نفسه على لجنة الامتحان في الأزهر لنيل شهادة العالمية في سنة ١٢٩٤م، فحصل عليها، ولم يكن نيله لها بالمانع له من الاستمرار في طلب العلم[٥].

- **الإمام مصلح معلم:**

عُيّن بعد نيله الشهادة العالية مدرسًا في دار العلوم للتاريخ، وفي مدرسة الألسن الخديوية للعربية في أواخر سنة ١٢٩٥هـ، مع مداومته على التدريس في الجامع الأزهر، فدَرّس في دار العلوم مقدمة ابن خلدون،

---

(١) المرجع السابق (١٩/٣).

(٢) العروة الوثقى (٣١)، التفسير ورجاله لمحمد عاشور (١٦٢)، رائد الفكر المصري لعثمان أمين (٢٥).

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام (٢٠/١).

(٤) ينظر: رائد الفكر محمد عبده لعثمان أمين (٢٥، ٢٦)، العروة الوثقى (٣١)، التفسير ورجاله (١٦٢).

(٥) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام (٢٦/١، ١٠٣، ١٠٤)، التفسير ورجاله (١٦٢).

وكان غرضه من ذلك بث أفكاره الإصلاحية في السياسة وفي المجتمع وفي التعليم، حتى عُزِل عن التدريس وأجر بالمقام في بلده لا يبرحه حتى صدر الأمر بالعفو عنه سنة ١٢٨٧هـ.

وعُيِّن رئيسًا لتحرير الجريدة الرسمية «الوقائع المصرية»، وفي سنة ١٣٠٠هـ- ١٨٨٢م، حُكِم عليه بالنفي؛ لاشتراكه في الثورة العرابية، وتوجَّه إلى الشام ومكث فيها مدة نفيه إلى عشرة أشهر أقامها في باريس، أصدر خلالها مع الأفغاني جريدة العروة الوثقى، ثم عاد بعد توقفها إلى الشام، فبدأ درسه في منزله في بيروت في السيرة النبوية، وقرأ في الجامع الكبير التفسير لا يلتزم كتابًا، وإنما يقرأ في المصحف ويفسّر[١].

ثم رجع الشيخ إلى بيروت، فعُيِّن أستاذًا في المدرسة السلطانية، وكان يشتغل مع التدريس بالتأليف والكتابة، فألّف «رسالة التوحيد»، ونقل إلى العربية «رسالة الرد على الدهريين» التي كتبها السيد جمال الدين بالفارسية، وشرح «نهج البلاغة» ومقامات بديع الزمان الهمذاني، ونشر في الجرائد مقالات عديدة[٢].

- **الإمام والإصلاح السياسي:**

كان من أهداف الإمام الإصلاح السياسي للبلاد، حيث يقول: «وهناك أمر آخر كنت من دعاته والناس جميعًا في عمى عنه، وبعد عن تعقّله، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية»، ثم يبينها بقوله: ذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة، ثم يبين حال الدولة «والاستبداد في عنفوانه والظلم قابض على صولجانه»، ثم يصف حال الداعي بقوله: «نعم إنني لم أكن الإمام المتبع ولا الرئيس المطاع غير أني كنت روح الدعوة»[٣]، لكن يبدو أنه عدل عن دعوته، وذلك عندما كانت في البلاد حركة ضد الاحتلال يقودها

---

(١) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام (٣٩١/١)، الأعلام للزركلي (٢٥٢/٦).

(٢) العروة الوثقى (٣٢).

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام (١٢/١).

عرابي، كان من أسبابها نشاط الأفغاني السابق، ونفى الإمام أن يكون له بها صلة، بل كان يحذّرهم من هذا الأسلوب، ويعلل رشيد رضا رفض الإمام للحركة مع دعوته للإصلاح السياسي، أنه كان يحاول ذلك برضا الأمير وحكومته لا بالخروج عليه[١].

واكتفى محمد عبده بما حصل له من السياسة، ورأى التحول إلى أسلوب التربية والتعليم قائلًا لأستاذه –الأفغاني–: «أرى أن نترك السياسة ونذهب إلى مجهل من مجاهل الأرض، لا يعرفنا فيه أحد، نختار من أهله عشرة غلمان أو أكثر من الأذكياء السليمي الفطرة، فنربّيهم على منهجنا ونوجّه وجوههم إلى مقصدنا، فإذا أتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين لا تمضي بضع سنين أخرى إلا ولدينا مئة قائد من قواد الجهاد في سبيل الجهاد في سبيل الإصلاح»[٢].

- تفسيره:

كان الإستاذ الإمام هو الذي قام من بين رجال الأزهر، بالدعوة إلى التجديد والتحرُّر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحر في بحوثه وكتاباته، فكان له من وراء ذلك آراء وأفكار، خالف بها من سبقه؛ وذلك أن الإمام اتخذ لنفسه مبدأ يسير عليه في تفسير القرآن الكريم، وهو فهم كتاب الله من حيث هو دين، يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم، في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة؛ وذلك لأنه كان يرى أن ذلك هو المقصد الأعلى للقرآن، وما وراء ذلك من المباحث فهو تابع له، أو وسيلة لتحصيله[٣].

- مؤلفاته:

لقد خلّف الأستاذ الإمام مؤلفات غير قليلة، وكتب الكثير من الصحف، فمن مؤلفاته:

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١/١٤٦– ١٤٩).

(٢) المصدر السابق (١/٤١٦، ٤١٧).

(٣) تفسير المنار لرشيد رضا (١/ ١٧) باختصار. وينظر: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٢/ ٤٧٠).

١. مؤلف في التصوف (رسالة الواردات).
٢. حاشية على شرح التصورافي على العقائد العضدية «في التوحيد».
٣. جريدة العروة الوثقى، التي شارك فيها مع أستاذه جمال الدين.
٤. رسالة التوحيد، وهي أهم مؤلفاته وأشهرها على الإطلاق.
٥. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.
٦. شرح نهج البلاغة، ومقامات بديع الزمان الهمداني، كما ذكرنا سابقًا.
٧. تقرير المحاكم الشرعية.
٨. تاريخ إسماعيل باشا[١]. وغيرها من المؤلفات.

- وفاته:

في الساعة الخامسة من مساء يوم الحادي عشر (١١) من يوليو سنة ١٩٠٥م، وجمادى الأول سنة ١٣٢٣هـ، توفي الأستاذ الإمام بالإسكندرية عن سبع وخمسين (٥٧) سنة[٢].

المطلب الثالث:

محمد رشيد رضا

يعدّ السيد الأفغاني الرجل الذي انقدحت عنه فكرة نظرية وجوب إصلاح المجتمع الإسلامي، ويُعدُّ تلميذه محمد عبده الرجل الذي بدأ في تطبيق منهج هذه المدرسة على منهج الإسلام أي: (القرآن الكريم)، ويُعدُّ تلميذه ومحمد رشيد رضا الرجل الذي قام بتسجيل نشاط هذه المدرسة وبثه في العالم الإسلامي عبر صحيفة «المنار»، ومواصلة ما بدأته من آراء[٣].

فهؤلاء الثلاثة يعتبرون دعائم هذه المدرسة، بقيامها على أكتافهم، ورفعهم لأعلامها.

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام (٧٨٢/١، ٧٨٣)، العروة الوثقى (٣٢، ٣٣). وينظر: رائد الفكر محمد عبده لعثمان أمين (٦٠).

(٢) الأعلام للزركلي (٥٢/٦)، ورسالة التوحيد لمحمد عبده (١٨).

(٣) ينظر: التفسير ورجاله، محمد فاضل عاشور (١٦٧).

- **اسمه ونسبه:**

هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا علي خليفة البغدادي[١].

ويحرص رشيد رضا في كل مناسبة أن يؤكّد أنه ينتسب إلى بيت الرسول ﷺ، فنراه يقول عن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جدنا المرتضى عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٢]، ويقول: «جدنا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٣].

ويقول: «جدنا الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٤].

- **مولده ونشأته:**

ولد يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الأول ١٢٨٢ه، الموافق ١٨ تشرين الأول ١٨٦٥م في قرية «قلمون» جنوب طرابلس بالشام.

نشأ بها ودخل في كتابها، وتعلّم فيه قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب، وتنسّك ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه[٥].

- **مرحلة تصوفه:**

نشأ محمد رشيد نشأة دينية صوفية، فحُبِّب إليه الناسك منذ سن المراهقة، وقرأ كتاب الغزالي «إحياء علوم الدين» وتأثّر به، وظهر ذلك على سلوكه، واستمرَّ في طريقته في التصوف[٦].

- **العروة الوثقى:**

كانت جريدة العروة الوثقى سببًا في تغير فكر محمد رشيد وتحولُّه من الصوفية، فكان يقول: «كنت أقلب في أوراق والدي (رحمه الله تعالى)، فرأيت عددين من جريدة العروة الوثقى فقرأتهما بشوق ولذّة، ففعلا في

---

(١) الأعلام، الزركلي (١٢٦/٦).

(٢) مجلة المنار: المجلد: ١٣، صفر ٢٣٢٨- ١٩١٠م ، ص١٣١.

(٣) مجلة المنار: المجلد: ١٥، محرم ١٣٣٠ه -١٩١٢م، ص٧٨.

(٤) المصدر السابق (٥٨٤/٢٣).

(٥) ينظر: الأعلام، الزركلي (١٢٦/٦).

(٦) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام (٨٤/١).

نفسي فعل السحر»[١]، وكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي، فأحْدَث في نفسي من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال، وقذف بي من طور إلى طور، ومن حال إلى حال[٢].

ويصف الطورين والحالين فيقول: «كان همي قبل ذلك محصورًا في تصحيح عقائد المسلمين، ونهيهم عن المحرمات، وحثّهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا... فتعلّقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة، فطفقت أستعد لذلك استعدادًا»[٣].

- حبّه للسيد الأفغاني والإمام محمد عبده:

اشتهر عن محمد رشيد حبّه وتعلّقه الشديد بالأفغاني ومحمد عبده حتى صار الثناء عليهما أمامه يُعَدُّ تقرُّبًا إليه.

وكتب إلى الأفغاني وهو في الأستانة كتابًا أبان له فيه ما يكنّه له من محبة وتأييد، وسأله إن كان يقبله مريدًا يتلفف الحكمة منه وتلميذًا يقوم ببعض الخدعة[٤].

وكان الشيخ محمد عبده في الشام منفيًا من مصر والتقى به محمد رشيد مرتين في طرابلس في مناسبتين قصيرتين، كان نتيجتهما زيادة إعجاب رشيد بالإمام محمد عبده ورغبته في الاتصال به.

وبعد أن توفي الأفغاني سنة ١٣١٤هـ عزم رشيد على الرحيل إلى مصر؛ للاتصال بوارث علمه وحكمته الأستاذ الإمام؛ لتلقّي الحكمة منه[٥].

---

(١) المصدر السابق (١/٨٤).

(٢) المصدر السابق (١/٣٠٣).

(٣) المصدر السابق (١/٨٤، ٨٥).

(٤) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١/٨٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق (١/ ٩٩٨).

- **منهجه في تفسير المنار:**

سار السيد رشيد في التفسير على النمط الذي كان عليه أستاذه محمد عبده، ولكن بعد وفاة إمامه غيّر في منهجه بعض الشيء، واستقلَّ بالعمل، فيقول:

"وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه -رحمه الله تعالى- في التوسُّع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان في تفسيرها أو حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، أو المسائل الخلافية بين العلماء، في الإكثار من شواهد الآيات في السورة المختلفة، وفي بعض الاستطرادات؛ لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم بهذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار أو المبتدعة، أو يحل بعض المشاكل التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب، وتسكن إليه النفس"[١].

- **جريدة المنار:**

كان من أغراض السيد رشيد الباعثة له على الانتقال من الشام إلى مصر إنشاء صحيفة إصلاحية، إلا أنه أحب أخذ موافقة أستاذه أولًا، فاستشار في ٦ شعبان ١٣١٥هـ، وبعد نقاش وحوار وافق الأستاذ بعد أن اقترح ثلاثة أمور:

١. أن لا يتحيز لحزب من الأحزاب.
٢. أن لا يرد على جريدة من الجرائد التي تتعرَّض له بذم أو انتقاد.
٣. أن لا يخدم أفكار أحد من الكبراء[٢].

وبذل الإمام وسعه في بثها وانتشارها، فكان يثني عليها في مجالسه، ويتحدث عنها وكأنه صاحبها، وبالمقابل كانت الصحيفة سبب شهرة الأستاذ،

---

(١) تفسير المنار (١ / ١١٦).

(٢) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام (١٠٠٣/١).

وبث آرائه وأفكاره وتفسيره، ولمس الأستاذ الإمام ذلك عندما زار تونس والجزائر[١].

- مؤلفاته:

كان له نصيب كبير في الكتابة والتأليف، ومن الصعب حصر مقالاته وكتاباته الصحفية ومؤلفاته العلمية، ونكتفي بذكر أبرزها:

١. مجلة المنار، وقد سبق الحديث عنها.
٢. تاريخ الأستاذ الإمام، في ثلاثة مجلدات، وهو أوسع ترجمة للإمام محمد عبده.
٣. الوحي المحمدي.
٤. الخلافة.
٥. السنة والشيعة والوهابية والرافضة.
٦. تفسير المنار.
٧. فتاوى السيد رشيد رضا.. وغيرها من المؤلفات.

- وفاته:

توفي يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٣٥م، ودفن -رحمه الله- في قرافة المجاورين في قبر بجوار أستاذه محمد عبده[٢].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١٠١٧/١).

(٢) رشيد رضا، إبراهيم أحمد العدوي (٣٣).

المبحث الثاني:

نشأة المدرسة الإصلاحية الحديثة ومنهجها في خوارق العادات

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة المدرسة الإصلاحية الحديثة.

المطلب الثاني: منهج رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة في خوارق العادات.

المطلب الأول

نشأة المدرسة الإصلاحية الحديثة

كان الفتور والتبلُّد قد استولى على المجتمع المصري، بعد أن توالى على الناس الاستعباد والاستبداد والذل والهوان، فتركوا أنفسهم للتيارات المعتركة تقذف بهم أينما قذفت، وهم في سكون الجماد الذي لا يحس، فلم تقف الفرصة على الأعداء، فتداعوا عليها كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

فأصبحت مصر تحت سيطرة الاحتلال الذي استغلَّ خيراتها ونعم بثرواتها، وفي هذه الأثناء ظهر رجال الإصلاح، وذلك في القرن الرابع عشر الميلادي، ورأوا أنه لا بد من إصلاح المجتمع المصري وأفراده، وأن ما انتاب مصر من تفكك وانحلال، وما فتك بأهلها من أدواء، لم يجئ في رأيهم نتيجة للاحتلال، بل إن الاحتلال هو الذي كان من نتائجه وآثاره.

فالاحتلال عندهم ليس هو على هذا التأخر، وإن كان من المسَلَّم به أنه يضع العراقيل في سبيل التقدم.

وكانت المشكلة التي يريد حلها أهل الإصلاح هي:

كيف ننشئ أمة قوية راقية من هذا المجتمع المفكك، الذي انتهى به الجهل والفقر، مع حكم الاستبداد أجيالًا طويلة، إلى حال من اليأس أصبح معها لا يكترث بشيء مما يجري حوله؟[١]

ومن هنا بدأ رجال الإصلاح يسعون إلى الإصلاح، والذي ما كان ليفسد حتى يحتاج إلى إصلاح!

وكان أولهم: جمال الدين الأفغاني الذي انطلق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[٢] حتى إنه تمسّك بالعروة الوثقى من هذا التنبيه القرآني البليغ، فأقبل يبحث عن طريق يسلكه المسلمون؛ ليتمكّنوا من رد حالهم من السيئ إلى الحسن، فلم ينته به الفكر

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين (١/٢٤٤، ٢٤٥) بتصرف يسير.

(٢) سورة الرعد: ١١.

إلا بإيجاد حركة إسلامية جامعة تعمل على وعظ المسلمين إلى إعادة الحكم الإسلامي والهداية الدينية.

وبدأ العمل الإصلاحي؛ وذلك لـمّا فارق البلاد الهندية أواخر سنة ١٣٠٠ هجرية ١٨٨٣ ميلادية، فمر على مصر في قناة السويس، وكتب من هناك يستنجد بأخص أبنائه، وأخلص أصفيائه: الشيخ محمد عبده؛ ليلتحق به إلى أوروبا؛ لينجزا معًا ما فكّر فيه من أمر الإصلاح. لكن كانت يد الجبروت التي خرجت بالسيد جمال الدين من الهند قد خرجت قبله من حيث لا يعلم بصديقه وتلميذه من مصر منفيًا، فأقام في بيروت.

ثم جمعت الأحداث بين السيد وتلميذه في باريس، وأقبل جمال الدين بعقله ومحمد عبده بقلمه، يخطّان منهج الخلاص في جريدة العروة الوثقى؛ لمعالجة الأحداث الجارية يومئذ في العالم الإسلامي[١].

وكانت لهذه الجريدة (العروة الوثقى) جمعية سرية منبثة في جميع الأقطار الإسلامية، اختير أعضاؤها من بين المسلمين المثقفين المتحمسين لدينهم، ووضع لها يمين يقسمها من يدخل فيها ويتعهد.

وكان من أهم أغراض الجريدة ما يأتي:

- بيان الواجبات على الشرقيين التي كان التفريط فيها موجبًا للسقوط والضعف، وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها؛ لتدارك ما فات، ويتتبع ذلك بيان أصول الأسباب ومناشئ العلل التي أفسدت حالهم، وعمت عليهم طريقهم، وإزاحة الغطاء عن الأوهام التي حلت بهم.
- إشراب النفوس عقيدة الأمل في النجاح، وإزالة ما حل بها من اليأس.
- دعوتهم إلى التمسُّك بالأصول التي كان عليها آباؤهم وأسلافهم، وهي ما تمسّكت به الدول الأجنبية العزيزة الجانب.
- الدفاع عما يرمي به الشرقيون عمومًا والمسلمون خصوصًا من التهم، وإبطال زعم الزاعمين من أن المسلمين لا يتقدّمون في المدنية ما داموا متمسّكين بأصول دينهم.

---

(١) التفسير ورجاله (٦٠-٦٣) بتصرف يسير.

- إخبار الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة.
- تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية، وتمكين الألفة بين أفرادها، وتأمين المنافع المشتركة بينها.

فأرادوا بهذا الدعوة الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي.

ولذلك سُمِّيت نهضتهم هذه بالنهضة الإصلاحية، وكان لهذه المدرسة آراء كثيرة تخالف رأي السلف وشطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا مبالغتهم الشديدة في تحكيم العقل في كل أمور الدِّين حتى جاوزوا الحق والصواب. ورأوا أنه لا سبيل للمسلمين إلا أن يفهموا الإسلام كما فهمته أوروبا النصرانية، وإن فعلوا ذلك نهضوا نهضة أوروبا في علمها، ولحقوها في رقيها وفنونها، فراحوا يوفّقون بين الدين والعلم، ويبيّنون للناس أن الدين الإسلامي الحق لا يحارب العلم ولا ينافي العقل، وأنه دين العقل والحرية والفكر[١].

المطلب الثاني

منهج المدرسة الإصلاحية الحديثة في خوارق العادات

إن خوارق العادات خاضعة عند رجال المدرسة الحديثة لثلاثة أمور، هي في نظرهم منعت القول بتصديق وقوعها أو الإقرار بها، فأصبحت كالحجة لهم؛ حتى لا يثبتوا بها القول بإثبات المعجزات.

وهي: العقل، السنن الكونية، العلم الحديث أو التجربة الحسية.

فإن أعظم ما برزت به هذه المدرسة كمنهج تسير عليه عند كل أمر، هو التحاكم إلى العقل، ولقد سار أصحاب هذه المدرسة إلى تحكيم العقل في كل خطوة يخطونها، فقد جعل الإمام محمد عبده الأصل الأول الذي يقوم عليه هذا الدين هو النظر العقلي، والوسيلة عنده هي الإيمان الصحيح، يقول: "فقد

([١]) ينظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث (٨٢، ٨٣)، فقه السيرة النبوية لمحمد البوطي (١٤).

أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه؟"[١].

لذلك أول ما نظروا في أمر الخوارق رجعوا فيه إلى العقل، فقالوا: إن هذه الخوارق مما يستحيل وقوعها عقلًا، لذلك جاءت بما يدهش العقول والأبصار، قال الإمام محمد عبده: «فانتهى بذلك زمن المعجزات، ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد، فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان، وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال كما كان في سن الطفولة (النوعية)، بل أرشده الله تعالى بالوحي الأخير (القرآن) إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي»[٢].

ويقول أيضًا في هذا الشأن: "إن الذي يمنعه العقل هو وقوع المحال، فلا يمكن أن يؤيد نبي بما هو مستحيل عقلًا؛ لأن المستحيل هو الذي لا يمكن وقوعه وما وقع لا يكون مستحيلًا "[٣].

لذلك أنكروا هذه الخوارق، بحكم أن العقل لا يقبل مقتضاها، مع أن المعجزات لم تأتِ بما تحيل العقول، وإنما جاءت بما تخرق العادة.

واحتجوا بأن هناك روايات لا يقرّها العقل والعلم[٤].

أما الأمر الثاني الذي جعلهم ينكرون هذه الخوارق فهي: السنن الكونية المؤيدة بالعلم وبصراحة القرآن القائلة: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ٤٣﴾[٥].

---

(١) الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، محمد عبده (٦٩).

(٢) تفسير جزء عمّ، محمد عبده (٣١٥). وينظر: تفسير المنار (٣٦١/١).

(٣) المرجع نفسه.

(٤) ينظر: حياة محمد، محمد هيكل (٧٠).

(٥) سورة فاطر: ٤٣.

قال السيد محمد رشيد: "إن الأصل في كل ما يحدث في العالم أن يكون جاريًا على نظام الأسباب والمسبّبات، وسنن الله التي دلَّ عليها العلم، وأخبرنا الوحي بأنه لا تغيير فيها ولا تبديل ولا تحويل"[١]، وعلى أساس هذه السنن والنواميس الكونية منعوا وقوعها، بزعمهم أن الذي يقضي به العقل أن لا نصدّق بوقوع شيء على خلاف السنن الثابتة، مع أن المعجزات منطبقة على سنن الله الاستثنائية، وسيأتي القول السديد في هذا في القادم بإذن الله.

والأمر الثالث: هو العلم الحديث المبني على التجربة الحسية الحاضرة، فيحتجون بها حتى ينفون الإيمان بالمعجزات.

مثال على ذلك: يرون النار تحرق دائمًا وهذا شأنها، فيحكم بأن إحراقها ضروري لا يمكن انفكافه عنها، فيكون منشأ إنكارهم للمعجزات، هو أن فعل الاحتراق للنار ثابت بالتجربة، وكل أحد يعاينها في كل زمان ومكان، وهكذا راحوا ينكرون المعجزات؛ بحجة مخالفتها للتجارب الحسية[٢].

---

(١) الوحي المحمدي، محمد رشيد (٢٤٦).

(٢) ينظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (٣٢/٤، ٣٣).

المبحث الثالث:
موقف رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة من المعجزة والردّ عليهم
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقفهم من معجزات الأنبياء.

المطلب الثاني: موقفهم من معجزات محمد .

المطلب الثالث: الردّ عليهم بالأدلة النقلية والعقلية.

المطلب الأول:

موقفهم من معجزات الأنبياء عليهم السلام

ذهب رجال المدرسة الإصلاحية الحديثة في أمر معجزات الأنبياء -عليهم السلام- إلى إنكار إقامة حجية معجزاتهم على أقوامهم السابقين، وإن أثبتوا وقوعها على الأنبياء عليهم السلام.

ويمكن أن نجمل قولهم في إنكارهم لحجية المعجزات على الأنبياء -عليهم السلام- في عدة نقاط كما يأتي:

- أن هذه المعجزات مخالفة للعقل والعلم، فادعوا أنها منافية للعقل والعلم على الرغم من كونها منصوصًا عليها في القرآن وغيره من الكتب المقدسة.

فهذا شيخهم محمد عبده يقول: "هذا النوع من العلم -علم تقرير العقائد وبيان ما جاء في النبوءات- كان معروفًا عند الأمم قبل الإسلام، ففي كل أمة كان القائمون بأمر الله يعملون لحفظه وتأييده، وكان البيان من أول وسائلهم إلى ذلك، لكنهم كانوا قلّ ما ينحون في بيانهم نحو الدليل العقلي، وبناء آرائهم وعقائدهم على ما في طبيعة الوجود أو ما يشتمل عليه نظام الكون، بل كانت منازع العقول في العلم ومضارب الدين في الإلزام بالعقائد وتقريبها من مشاعر القلوب على طرفي نقيض، وكثيرًا ما صرح الدين على لسان رؤسائه أنه عدو العقل نتائجه ومقدماته، فكان جل ما في علوم الكلام تأويل وتفسير، وإدهاش بالمعجزات أو إلهاء بالخيالات، يعلم ذلك من له إلمام بأحوال الأمم قبل البعثة الإسلامية"[١].

فالشيخ محمد عبده يرى أن الأديان السابقة لم تكن أدلتها تقوم على حجج عقلية، بل تقوم على العداء للعقل نتائجه ومقدماته، وتقوم على الإدهاش بالمعجزات والإلهاء بالخيالات، ومع إنكاره لقبول العقل بالمعجزات إلا أنا نراه في موضع آخر لا يعدها من المستحيلات العقلية، بل ويقر حجيتها

---

(١) رسالة التوحيد، محمد عبده (٢٧).

وثبوت النبوة بها، حيث يقول: «المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلًا؛ فإن مخالفة السير الطبيعي المعروف في الإيجاد، مما لم يقم الدليل على استحالته، بل ذلك مما يقع كما يشاهد في حال المريض، يمتنع عن الأكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات مع وجود العلة التي تزيد الضعف، وتساعد الجوع على الإتلاف»[١]. ويقول: «المعجزة لا بد أن تكون مقرونة بالتحدي عند دعوى النبوة وظهورها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده؛ لأن النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله، فإصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدًا من له في تلك الدعوة، فقد ظهرت المعجزة وهي مما لا يقدر عليه البشر، وقارن ظهورها دعوى النبوة عُلِم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقًا لمن ظهرت على يده، وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة»[٢].

فنلاحظ مع قوله هذا أنه يصف القائمين على الأديان قبل الإسلام بأنهم لا ينحون في بيانهم نحو الدليل العقلي، بل ينحون إلى ما يدهش العقل من المعجزات.

- أن هذه المعجزات (أي: معجزات الأنبياء) غير كافية ولا مقنعة للأقوام الذين نزلت بهم المعجزات حجة عليهم.

يقول الشيخ عبد العزيز جاويش: «أنه لو كانت المعجزات الخارقة للعادة كافية مقنعة، لما كذب بها الأولون بعد؛ إذ ألحوا في طلبها وأجيبوا إليها، فرأتها أبصارهم رأي العين»[٣].

- أن القرآن لو لم يذكر معجزات الأنبياء السابقين لكان إقبال الأفرنج عليه أكثر، فجعلوا رواية القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء السابقين سببًا لإعراض العلماء والعقلاء عن الدين الإسلامي والدخول فيه.

---

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده (٩١). وينظر: الأعمال الكاملة لمحمد عبده، محمد عمارة (٤٠٦/٣٠).

(٢) المصدر السابق (٩٢).

(٣) الإسلام دين الفطرة والحرية، عبد العزيز جاويش (٢١٣).

قال السيد رشيد رضا: «ولولا حكاية القرآن لآيات الله التي أيد بها موسى وعيسى -عليهما السلام- لكان إقبال أحرار الإفرنج عليه أكثر واهتداؤهم به أعم أسرع؛ لأن أساسه قد بُنِي على العقل والعمل وموافقة الفطرة البشرية»[١].

كل هذا لزعمهم أن تلك المعجزات جاءت بما تحيل العقول وتدهش الأبصار بالخيالات والمعجزات، فبنوا أساسهم هذا على تحكيمهم للعقل، والعقل عند محكميه لا يؤمن بما يقهره، بل لا بد لإيمانه من اقتناع ذاتي بعيدًا عن المؤثرات الخارجية المجبرة له على الإذعان كالمعجزات.

- أن هذه المعجزات قد التبست بأعمال السحرة والمشعوذين، فتوقع الحيرة في التمييز بين الأنبياء وأدعياء النبوة، فهم لا ينكرون وقوع المعجزات وحصولها وإنما ينكرون حجيتها ودلالتها على الرسالة، فها هو محمد رشيد يقارن بين خضوع أولئك للمعجزات الأنبياء وخضوع آخرين للسحرة والمشعوذين، فكأنه يجعله حجة على إنكار معجزاتهم عليهم السلام، يقول: «وقد كان أكثر من آمن بتلك الآيات إنما خضعت أعناقهم واْستَخذَت أنفسهم لما لا يعقلون له سببًا، وقد انطوت الفطرة على أن كل ما لا يعرف له سبب ما، فالآتي به مظهر للخالق سبحانه، إن لم يكن هو الخالق نفسه، وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يزالون كذلك»[٢].

- أن هذه المعجزات شبهة لا حجة.

فهي مثار شبهات، على الرغم من تعبير القرآن عنها تارة بالآيات البينات، وتارة بالبرهان، وتارة بالفرقان، وتارة بالسلطان، وتارة بالحق؛ فردوا تلك المعجزات إلى متشابهات القرآن التي لا يستطيع العقل فهم معانيها؛

---

(١) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (١٠٥).

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٣٢/١١)، الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا. وينظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، مصطفى صبري (١٣٠/٤).

لانطوائها على أمور لا تتفق مع العقل والعلم، فردها إلى المتشابهات أخو إنكارها، وعدّها مما ينافي العقل والعمل جهرٌ بإنكارها[١].

- اعتقادهم أن نواميس الكون طبيعية لا يمكن تبديلها، ولا يقبل العقل والعلم ما يخالفها من القول كائنًا من كان[٢].

ثم لا يحسن بنا بعد أن بيّنا موقف أولئك من معجزات الأنبياء غير أن نضرب مثالًا على ذلك.

معجزة إحياء الموتى لموسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٣].

إلى قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[٤].

يقول صاحب المنار السيد رشيد رضا في تفسير هذه الآية: «..... وقالوا: إنهم ضربوه فعادت إليه الحياة، وقال: قتلني أخي، أو ابن أخي فلان، إلى آخر ما قالوه، والآية ليست نصًا في مجمله فكيف بتفصيله؟ والظاهر مما قدّمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل إذا وجد القتيل قرب بلد ولم يُعرَف قاتله؛ ليعرف الجاني من غيره، فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك في الشريعة برئ من الدم، ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية، ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تُسفَك؛ بسبب الخلاف في قتل النفس؛ أي: يحييها بمثل هذا الإحكام، وهذا الإحياء على قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، مصطفى صبري (١٣٧/٤، ٤٠٠، ٤٠٣) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق (١٣٠/٤).

(٣) سورة البقرة: ٦٧.

(٤) سورة البقرة: ٧٢- ٧٣.

أَحۡيَا ٱلنَّاسَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾[٢]، فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين، ثم قال: ﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٣] بما يفصل بها في الخصومات، ويزيل من أسباب الفتن والعداوات»[٤].

ومن هذا نرى، أنهم أنكروا معجزة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في إحياء الموتى؛ باعتباره آية للدلالة على البعث، وحملوا هذه القصة على أنها حكم شرعي عندهم، لا أنها أمر أظهر الله به معجزة الميت على يد موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أمام قومه؛ ليعتبروا بها، ولتكون حجة لإثبات المعاد، وليريهم الله كيف يحيي الموتى.

وسيتم الرد على هذا التأويل في الصفحات القادمة بإذن الله[٥].

المطلب الثاني:

موقفهم من معجزات نبينا محمد ﷺ

أما موقفهم من أمر معجزات نبينا ﷺ فهو أمر آخر غير ما ذكرنا سابقًا من أمر معجزات الأنبياء -عليهم السلام-، فإنهم أنكروا معجزاته -عليه الصلاة والسلام- كلها سوى معجزة القرآن الكريم، بمعنى أنهم توصلوا في القول بمعجزات النبي ﷺ إلى أمرين:

١. إثبات معجزته الخالدة.
٢. إنكار حجية ما سواه من المعجزات الكونية.

❁ إثبات معجزته الخالدة:

---

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) سورة البقرة: ١٧٩.

(٣) سورة البقرة: ٧٣.

(٤) تفسير المنارة (٢٩١/١). وانظر مثالًا آخر ذكره محمد عبده في تفسير لمعجزة فلق البحر، وتأويله لها. تفسير جزء عم (٣١٥، ٣١٦).

(٥) ينظر: المطلب الثالث: ٣٩.

والسبب في إثبات معجزة القرآن وحدها دون غيرها من معجزاته ﷺ؛ لأنها معجزة عقلية تُدرَك بالفعل والحس والوجدان.

يقول الشيخ محمد مصطفى المراغي في تقديمه لكتاب حياة محمد للأستاذ محمد حسين هيكل: «ولم تكن معجزة محمد ﷺ القاهرة إلا في القرآن، وهي معجزة عقلية»[١].

ويؤيد مثل هذا الشيخ رشيد رضا، حيث يقول: «وأما آيته التي احتجَّ بها على كونه من عند الله تعالى فهي القرآن، وأمية محمد -عليه الصلاة والسلام- فإنما هي آية علمية تدرك بالعقل والحس والوجدان».

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في التيم[٢]

ويقول: إن في عصره ﷺ «فانتهى بذلك زمن المعجزات، ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد، فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان، وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال كما كان في سن الطفولة (النوعية)، بل أرشده الله تعالى بالوحي الأخير (القرآن) إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي»[٣].

وها هو السيد محمد عبده ينفي معجزات النبي ﷺ الكونية، ويثبت القرآن فقط بحكم أنه هو المعجزة الوحيدة التي جاءت تخاطب العقل بقوله: «بني صدق الأنبياء ولكن لم يأتِ في الإقناع برسالته بما يلهي الأبصار أو يجبر الحواس أو يدهش المشاعر، ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له واختص العقل بالخطاب، وحاكم إليه الخطأ والصواب، وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة »[٤]، ويقول: «فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري، فلا يدهشك بخارق

---

(١) حياة محمد، محمد حسين هيكل، مقدمة الشيخ محمد مصطفى المراغي (١٣).

(٢) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (١٠٥).

(٣) تفسير المنار (٣٦١/١).

(٤) رسالة التوحيد، محمد عبده (١٣٩). وينظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (٢٤٩).

للعادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية»[١].

فهم يثبتون معجزة القرآن على حساب المعجزات الكونية الأخرى لرسوله ﷺ.

ويرى الشيخ عبد العزيز جاويش أن الله -سبحانه وتعالى- أبى إلا أن يؤيد هذا الدين بالمعجزة التي لا تنافي فطرته وهي القرآن الكريم، أما المعجزات الخارقة فلم يؤيد الله بها رسوله محمد ﷺ فيقول: «كما يقص -أي: القرآن- علينا أنه لو كانت المعجزات الخارقة من البراهين التي لا يفر المعاند من الخنوع لها لأمدّ الله بها رسوله، ولأيده بما لا يحيط به الحصر من ضروبها. ولكن علمه الله أن هذه الآيات قد نزلت بمن قبلهم فظلموا بها، واستنكرتها أنفسهم بغيًا وعلوًا.

ولهذا يبين لنا -أي القرآن- في صراحة ووضوح أن الله -سبحانه وتعالى- أبى أن يؤيد هذا الدين إلا بالمعجزة التي لا تنافي فطرته، ولا يقوى معاند على معارضتها تلك هي القرآن الكريم»[٢].

قال محمد شلتوت: «إن المعجزة التي تحدَّى بها ﷺ قومه هي القرآن خاصة»[٣].

❁ إنكار وقوع معجزاته ﷺ الكونية والمادية:

بعد أن بيّنا كيف أثبتوا معجزة القرآن، والدواعي على إثباته وحده دون غيره من معجزاته عليه الصلاة والسلام، نريد أن نبين أيضًا لماذا أنكروا معجزاته الأخرى؟ وما الداعي لهذا الإنكار؟!

ومن المعلوم أن لا أحد ينكر أمرًا بيّن ظاهر ثابت بالأدلة قبل أن يبرر لنا سبب ذلك الإنكار.

---

(١) الإسلام والنصرانية، محمد عبده (٦٥).

(٢) الإسلام دين الفطرة والحرية، عبد العزيز جاويش (١٤٨).

(٣) الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية العامة، محمد شلتوت (٤٣).

فقد أنكروا معجزات النبي ﷺ كمعجزة الإسراء والمعراج، وتكثير الطعام، وحنين الجذع، ونبع الماء بين أصابعه، وانشقاق القمر، وغيرها من المعجزات. وذكروا لنا دواعي هذا الإنكار كما يلي:

- أن معجزات النبي ﷺ مثار شبهات وتأويلات في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها.

يقول السيد رشيد رضا: "وأما تلك العجائب الكونية فهي مثار شبهات وتأويلات كثيرة، في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها، وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرين في كل زمان، والمنقول منها عن الصوفية الهنود والمسلمين أكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد، وعن مناقب القديسيين، وهي من منفّرات العلماء عن الدين في هذا العصر"[(١)].

ويقول أيضًا: "هذا وإن ما رواه المحدّثون بالأسانيد المتصلة تارة وبالمرسلة أخرى من الآيات الكونية التي أكرم الله تعالى بها رسوله محمدًا ﷺ هي أكثر من كل ما رواه الإنجليون وأبعد عن التأويل، ولم يجعلها برهانًا على صحة الدين ولا أمر بتلقينها للناس؛ ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها؛ لأن البشر قد بدؤوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون"[(٢)].

وها هو الكاتب حسين هيكل في كتابه «حياة محمد» يطعن في الروايات الصحيحة التي جاءت بها السُّنَّة، والتي نذكر فيها آيات الله الكونية والمادية التي أنزلت على رسوله؛ لإثبات حجة نبوته، فيقول: «وأكبر ظني أن الذين كتبوا السيرة كانوا يؤثرون هذا الرأي لولا أحوال العصر أيام المتقدمين، ولولا أن ظنَّ المتأخرون أن في ذكر ما لم يرد به القرآن من خوارق

---

(١) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (١٠٥)

(٢) المرجع السابق (١١٢)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١١/ ١٣٢).

ومعجزات ما يزيد الناس إيمانًا على إيمانهم، لذلك حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضر...، ولو أنهم عاشوا في زماننا هذا ورأوا كيف تزيغ هذه الروايات قلوبًا وعقائد بدل أن تزيدها إيمانًا وتثبوتًا لكفاهم ذكر ما في كتاب الله من آيات بينات وحجج دافعة»[١]. فانظر كيف جعل الروايات الصحيحة الثابتة في معجزاته ﷺ تزيغ القلوب بدل أن تزيدها إيمانًا والعياذ بالله.

ثم يؤكّد إنكاره موبخًا الذين أثبتوا هذه المعجزات فيقول: «فأي داع دعا طائفة من المسلمين فيما مضى، ويدعو طائفة منهم اليوم إلى إثبات خوارق مادية للنبي العربي؟ إنما دعاهم إلى ذلك أنهم تلوا ما جاء في القرآن من معجزات من سبق محمدًا من الرسل، فاعتقدوا أن هذا النوع من الخوارق المادية لازم الكمال للرسالة فصدّقوا ما روى منها»[٢].

ويقول الأستاذ فريد مجدي متهمًا وقادحًا الروايات الصحيحة بالأقاصيص والروايات الموضوعية:

«جاءت السيرة المحمدية زاخرة بالأقاصيص الخرافية، والروايات الموضوعية، والأشعار المصنوعة»[٣].

- وأنكروا معجزاته ﷺ؛ بحجة أنه كان لا يلبّي طلبات قومه في إظهار المعجزات.

يقول محمد هيكل: «فقد كان أهل مكة يطلبون إلى النبي أن يجري ربه على يديه المعجزات إذا أرادهم أن يصدقوه، فنزل القرآن بذكر ما طلبوا ويدفعه بحجج مختلفة، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١

---

(١) حياة محمد، محمد حسين هيكل (٧٠).

(٢) المرجع السابق (٧١).

(٣) مجلة الأزهر، الجزء الأول، المجلد: العاشر، محرم ١٣٥٨ه، مقال: «السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة» للأستاذ: محمد فريد وجدي (١٤).

أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾ (١) (٢).

بهذا احتجوا به، وكان مانعًا منهم لإثبات معجزات محمد ﷺ الكونية لهذا الغرض.

- واحتجوا أيضًا بأن التاريخ لم يذكر أن المعجزات حملت أحدًا منهم على أن يؤمن برسوله ﷺ، بل كانت حجة الله البالغة عن طريق الوحي على لسان نبيه، وهي التي دعت إلى الإيمان بمن آمن منهم.

وعلى سبيل المثال: معجزة الإسراء والمعراج لم تدفعهم إلى الإيمان به، بل أدّت إلى ارتدادهم عن دينهم(٣).

وسنورد مثالًا يوضّح ردهم الروايات الصحيحة، وجعلها شبهة دون إيراد الحجة على إثبات وقوع هذه المعجزة على نبينا محمد ﷺ.

انشقاق القمر:

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾﴾ (٤).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا»(٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حدّثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية «فأراهم انشقاق القمر»(٦).

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠-٩٣. وينظر: سورة الأنعام: ١٠٩-١١١.

(٢) حياة محمد، محمد حسين هيكل (٧١).

(٣) حياة محمد، محمد حسين هيكل (٧٣).

(٤) سورة القمر: ١.

(٥) صحيح البخاري، ج٤/٢٠٦، حديث رقم (٣٦٣٦)، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر.

(٦) صحيح البخاري، ٤/٢٠٦، حديث رقم (٣٦٣٧)، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر.

فإن أصحاب هذه المدرسة يردون هذه الروايات إلى الشبه في عدم تواترها.
حيث يقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره: «إن انشقاق القمر من الأحداث الكونية المهمة التي لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، ولبلغ حدًا لا يمكن لأحد أن ينكره، وصار من المحسومات التي لا تدفع، ولصار من المعجزات التي لا يتسع لمسلم ولا غيره إنكارها»[١].

ويقول: «ما ادعى أحد من المسلمين إلا من شذ أن هذه معجزة بلغت حد التواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادًا، بل كانوا لا يعدّون كثرة»[٢].

وقال السيد رشيد: «... فلو وقع لتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر؛ لشدة غرابته عند جميع الناس في جميع البلاد ومن جميع الأمم، ولو كان وقوعه آية ومعجزة لإثبات نبوة النبي ﷺ لكان جميع من شاهدها من أصحاب النبي ﷺ نقلها وأكثر الاستدلال والاحتجاج بها، حتى كان يكون من نقلتها في رواية الصحيحين قدماء الصحابة الذين كانوا لا يكادون يفارقون النبي ﷺ ولا سيما في مثل هذه المواقف كالخلفاء وسائر العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم».

وقال: «وجملة القول: أنه لو صح أن قريشًا أن سألوا النبي ﷺ آية تدل على صدق نبوته، وأن الله تعالى أجابهم إلى طلبهم فجعل انشقاق القمر آية، كما هو نص حديث أنس في الصحيحين وغيره في غيرهما، لعذّب الله أمته أو قومه باستئصالهم على حسب القاعدة الصحيحة الثابتة بالنص القطعي، أو لعذّب من رأوها وكذّبوا بها، ولكن لم ينقل أن الله تعالى عذّب أحدًا منهم

---

(١) تفسير المراغي، أحمد المراغي (٧٧/٢٧). ولمزيد من الإيضاح يمكن الرجوع إلى المرجع نفسه (٧٧).

(٢) المرجع نفسه.

عقب ذلك التكذيب، بل نقل خلافه، وأن منهم من مات بعد ذلك، ومنهم من قتل ببدر...»[١].

أما تأويله الآية: فقد أولها السيد رشيد رضا حسب ما جاء في مقتضى اللغة، أن معنى «انشق القمر» بمعنى طلع وانتشر نوره، ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح، كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر...، وقيل معناها: وضح الأمر.

قال: وهذا هو المتبادر من الآية بنص اللغة ومعونة السياق، ويعلل هذا بأن صيرورة القمر شقتين منفصلتين لا دخل لها في إنذار المشركين الذي هو موضوع السورة[٢].

نتيجة تجريدهم الرسول ﷺ من المعجزات أدى إلى القول بعبقريته:

إن تجريد نبوته ﷺ من تلك المعجزات إنما يقصد به طائفة منهم إثبات عبقرية محمد ﷺ لا ثبوت، وهم حينما يثبتون هذا يزعمون أنه كسب عظيم للقائلين بنبوته.

فلننظر إلى ما كتبه الأستاذ فريد وجدي، وهو يقرر عبقرية محمد ﷺ ويعده كسبًا للقائلين بنبوته، وما رأيت خسارة فادحة تسمى كسبًا عظيمًا إلا بهذا المقياس الذي يقيس به وجدي، يقول: «ربما يخيل لمن يطلع على شرطنا إيراد السيرة النبوية على أصول الدستور العلمي أن جانب الإعجاز فيها سيكابد نقصًا عظيمًا، إن لم يغفل إغفالًا تامًا، وإغفال هذا الجانب منها يجعلها أمرًا طبيعيًا، فتفقد النبوة صفتها المميزة، وتصبح سيرة النبي ﷺ أحد عظماء الرجال، وليكن من الممكن إثبات أنه أعظمهم، فتكون النتيجة سلبية من الناحية الدينية».

نقول: لا، فإننا إن سرنا على شرط العلم في إثبات الحوادث وغروها إلى عللها القريبة، فإنه سيتألف من جملتها أمر جلل يقف العلم نفسه أمامه حائرًا، لا يستطيع تعليل صدوره عن فرد واحد، وسيكون مضطرًا بأن يعترف

---

(١) مجلة المنار: المجلد: ٣٠، ص٣٦١، جمادى الأولى ١٣٤٨هـ، نوفمبر ١٩٢٩م.

(٢) مجلة المنار: المجلد: ٣٠، ص٣٦١، جمادى الأولى ١٣٤٨هـ، نوفمبر ١٩٢٩م، بتصرف يسير.

بأن محمدًا ﷺ كان عبقريًا من طراز خاص فاق به جميع العباقرة، وهذا كسب عظيم للقائلين بنبوته؛ لأن العبقرية في العلم لا تعني ما تعنيه في عُرْف العامة، هي في العلم ما يلقي في دوع العبقري من علم أو عمل بدون جهد منه، فيجيء فذًا لا سابقة له يتخذ مثالًا لغيره، ولا يمكن تقليده، فالعبقرية بهذا المعنى العلمي تقرب معنى النبوة إلى العقل وتسوغها في العلم[١].

فقد كثر وصف نبينا محمد ﷺ بهذا الوصف (بالعبقرية) حتى ألَّف بعضهم كتبًا عن عبقرية محمد كما فعل الأستاذ العقاد، فقد شاركهم في الترويج لهذه الدعوة الهدّامة.

وهم حين يصفونه بالعبقرية فإنهم يثبتونها على حساب نبوته عليه الصلاة والسلام، وأكبر دليل على هذا إنكارهم للمعجزات والمعجزة والنبوة سيان في كونهما من الأمور الغيبية الخارقة لسنن الكون، بل إن المعجزة من أدلة الإثبات على النبوة.

فهكذا أدى تجويدهم نبوة محمد ﷺ من المعجزات إلى القول بعبقريته وعدوها كسبًا عظيمًا للقائلين بنبوته.

المطلب الثالث:

الردّ عليهم بالأدلة النقلية والعقلية

إن معجزات الأنبياء والرسل جميعًا، ومعجزات محمد ﷺ لا شك أنها حجة للرسل على أقوامهم، ولا ينكر هذا إلا مغالط خاضع للهوى أو الجهل، لذلك نجد رجال المدرسة الإصلاحية قد وقعوا في الخطأ والضلال عندما أنكروا حجة معجزات الأنبياء ووقوع معجزات محمد ﷺ الكونية، وذهبوا في ذلك إما إلى تحكيم العقل، أو تضعيف إسناد الأحاديث الصحيحة، أو ردها للشبهات وغيرها كما بيناه في المطلب السابق.

---

(١) مجلة الأزهر، الجزء الأول، المجلد: العاشر، محرم ١٣٥٨هـ، مقال: «السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة» للأستاذ محمد فريد وجدي (ص١٥).

وبعد أن عرضنا احتجاجهم في إنكارهم للمعجزات، نأتي بالرد عليهم بالأدلة النقلية ثم العقلية إن تيسّر ذلك، حتى من كان في قلبه مرض وردّ دليل الوحيين، نفحمه بالدليل العقلي الذي هو دليلهم المعتمد أولًا والمقدم على كل دليل.

❁ الردّ على من أنكر حجية معجزات الأنبياء عليهم السلام:

١. أن هذه المعجزات مخالفة للعقل والعلم، وأنها قائمة على العداء للعقل.

الردّ من وجهين:

- أن الأنبياء -عليهم السلام- قد أيّدهم الله تعالى بمعجزات تتلاءم مع طبيعة عصرهم، فقد جاء موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمعجزة العصا في وقت ظهر فيه علم السحر فجاءت تفوقه وتبطله، وعيسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- الذي يبرئ الأكمه والأبرص كان في زمن ظهر فيه علم الطب، وهي ليست من جنس الطب المستند إلى التوسُّل بالأسباب، وصالح -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- الذي أيده الله بمعجزة الناقة، وظهرت معجزته في عصر كانوا يتقلبون فيه بالنعم[١].

- قال ابن كثير: "كانت معجزة كل نبي في زمانه بما تناسب أهل ذلك الزمان، فذكروا أن موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء، فبعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب... وهكذا عيسى بن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها... هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله"[٢].

- فكيف تجعلون هذه المعجزات بعيدة عن مقتضيات العقول وما جاءت إلا بالإدهاش فقط؟!

---

(١) ينظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (١٣٢/٤)، إيثار الحق على الخلق لأبي الوزير (٦٩).

(٢) قصص الأنبياء، ابن كثير (٤٣٠/٢).

- أن هذه المعجزات هي مما يخرق العادة وليس مما يستحيل العقل، فكيف تكون مستحيلة وقد وقعت في سالف الزمن، ونطق القرآن بوقوعها وآمن به المسلمون[١].

- قال الشيخ مصطفى صبري: «تعد المعجزة من خوارق العادة لا من خوارق العقل، وإلا لما أمكنت ولما وقعت، لكن الذين لا يميزون خارق العادة من خارق العقل ويزعمون المعجزة التي هي من خوارق العادة، خارقة للعقل أيضًا، ينفونها قائلين باستحالتها، وهذا الزعم منهم ناشئ من زعم آخر هو عدم إحكام خرق القوانين الطبيعية المقررة في العلم الحديث»[٢].

٢. أنه لو كانت المعجزات الخارقة للعادة كافية مقنعة، لما كذب بها الأولون بعد إذ ألحوا في طلبها وأجيبوا إليها.

الردّ: اقتضت سنة الله الإلهية إنزال العذاب على قوم أرسل إليهم رسول قوم وأراهم من المعجزات الباهرات التي تدل على نبوته، ومع ذلك عصوه وآذوه وسخروا منه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾[٣]. وسنته: هي نصر أنبيائه وتدمير أعدائه، ويكون هذا النصر وهذا التدمير آخر معجزات الأنبياء بالنسبة إلى المتمردين عليهم، وتتقدّم هذه المعجزة معجزات الهداية، فيهتدي من يهتدي ويؤمن من يؤمن، ويكون في الباقين من يطلب معجزة أخرى تفوق الأول ظهورًا وبهورًا، وتكون هذه المعجزة المطلوبة هي التي تأتي بعدها معجزة العذاب، ولهذا يماطل الأنبياء لا سيما الذين تغلب فيهم الرحمة في الإتيان بهذه المعجزة، والقرآن يشير إلى سنة لنزول العذاب بعد هذه المعجزة في كثير من آياته كقوله: ﴿وَمَا

---

(١) ينظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (٤ /٤٠٣).

(٢) المرجع السابق (٤/٩٥).

(٣) سورة يوسف: ١١٠.

مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[1] [2].

٣. أن معجزات الأنبياء نظير أعمال السحرة وهذا باطل.

الردّ: فإن معجزات الأنبياء ليست كأعمال السحرة؛ لأن معجزة الأنبياء خارجة عن الرتب وعن طبائع كل ما في العالم وعن بنية العالم، لا يجري شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم، وقد نصَّ الله -عزّ وجل- على ما قلنا، قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾[3]. **فأخبر تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخييلًا لا حقيقة له، وقال تعالى:** ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[4]. **وأخبر أيضًا أنه كيد لا حقيقة له.**

ويقول الشيخ مصطفى صبري ردًا على السيد رشيد رضا عندما جعل المعجزات هي نظير أعمال السحر والشعوذة: «فكأن هذا الشيخ المستخف بالمعجزات الكونية الناظر إليها نظرة إلى إعمال السحر والشعوذة، لا يسمع لقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[5] **وقوله:** ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾[6]»[7].

---

(١) سورة الإسراء: ٥٩.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (٤/ ٩٠، ٩١).

(٣) سورة طه: ٦٦.

(٤) سورة طه: ٦٩.

(٥) سورة الأعراف: ١٧.

(٦) سورة الشعراء: ٤.

(٧) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (١٨٧/٤).

أما من الناحية العقلية:

- فيقال لمن قال إن السحر يحيل الأعيان ويقلب الطبائع: أخبرونا إذا جاز هذا فأي فرق بين النبي والساحر، ومن قال: إن أعمال السحرة حقيقة، فقد صدق فرعون -بلا شك- في أن موسى ساحر مثلهم- حاشا لله من هذا- بل ما كان فعل السحرة إلا من حيل أبي العجائب فقط[١].

- الأمر الثاني: لأن القرآن مشحون بالاعتناء بمعجزات الأنبياء الكونية، فإذا كانت تلك المعجزات لا فرق بينها وبين أفعال الدجاجلة والمشعوذين ولم يصدقها غير الخرافيين، لزم أن يكون القرآن نازلًا على وفق أهواء الخرافيين، وذلك ينقص من قدر القرآن أي نقص[٢].

- إن في معجزات الأنبياء -عليهم السلام- دلالة كافية على صدقهم في دعوى النبوة للذين شرح الله صدورهم للإيمان، ولا يقدح في قيمة المعجزات ظهور أشباهها الزائفة في أيدي السحرة والمشعوذين، ولذا لم يمنع هذا التشابه سحرة فرعون عن الإيمان بمعجزة موسى[٣].

٤. أن معجزات الأنبياء حجة لا شبهة.

الردّ: فكيف تكون شبهة وهي من أكبر الدلالات على صدق النبوات، والقرآن العظيم مليء بالآيات التي تذكر معجزات الأنبياء التي تدل على صدقهم! وقد احتج موسى الحليم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- على فرعون، ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادعى أنه ساحر، فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى، فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة، وأمر موسى أن يأتوا أولًا

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي (٩٩/٥) باختصار، وقد ذكر ابن تيمية في كتابه (النبوات) الفروق بين معجزة الأنبياء وعمل السحرة. ينظر: (٥٥٨/١- ٥٦٠)، وإيثار الحق على الخلق لأبي الوزير اليماني (٦٦- ٧١).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي (١٣١/٤).

(٣) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (١٢٩/٤).

بخوارقهم، فلما أتت وابتلعتها العصا التي صارت حيّة، علم السحرة أن هـذا ليس من جنس مقدورهم، فآمنوا إيمانًا جازمًا[١].

وقال تعـالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾[٢].

يقول ابن كثير: «يقولون: أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها، رددناها فلا نقلبها منك، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به»[٣].

وحينما أوحى المولى عزّ وجل إلى موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بضرب العصا، وسماه شيئًا مبينًا- حكاه الله تعالى في سورة الشعراء- حيث قـال فرعـون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٤]

قال موسى: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[٥]**، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي ببرهان قاطع واضح»[٦]، فثبت أن دلالـة المعجـزات هي من أقوى الدلالات وأوضح الآيات على صدق الأنبياء[٧].**

٤. أما إنكارهم معجزات الأنبياء بحجة أن للكون سننًا لا تتغيّر ولا تتبدّل فهذا باطل.

الردّ: هم بقولهم هذا لا يقدرون الله وعظمته وقدرته كما قال تعـالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[٨] **(أليس واضع ذلـك النظام، بقدرته وإرادته واختياره، عاجز عن تغيير ما وضع؟! فقولكم هذا يدل**

---

(١) النبوات، ابن تيمية (١٦٩/١، ١٧٠).

(٢) سورة الأعراف: ١٣٢.

(٣) محتصر تفسير ابن كثير (٤٥/٢).

(٤) سورة الشعراء: ٢٩.

(٥) سورة الشعراء: ٣٠.

(٦) مختصر تفسير ابن كثير، ابن كثير (٦٤٦/٢).

(٧) ينظر: إيثار الحق على الخلق، أبو الوزير (٥٤).

(٨) سورة الأنعام:٩١.

على أنه لا يقدر على تبديل سنة الكون، فلا تكون النار إلا حارة محرقة، فخالق النار وواضع نظامها ليس بمانع أن يجعلها الله بردًا وسلامًا على نبيه وخليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ).

وأما الدليل العقلي فهو:

- أن نظام العالم دليل على وجود الله تعالى الذي هو واضع النظام، يكون تغييره الذي نعبّر عنه بالمعجزة دليلًا على وجود أنبيائه، ومن هذا يمكننا أن نعد تأييد الأنبياء بالمعجزات من سنن الله أيضًا[١].

- إذا كانت هذه السنن مانعة من الخوارق؛ لأنها لا تتبدّل ولاتحوّل، لزم أن تقع أنباء القرآن عن معجزات الأنبياء السابقين، مثل: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وصالح، وسليمان وغيرهم، تحت شبهة الكذب والوضع، كالأنباء المروية في كتب السيرة والحديث عن معجزات نبينا، أو تكون الآيات الواردة في القرآن الناطقة بأنباء معجزات الأنبياء آيات متشابهات غير مفهومة.

- والمعجزة التي تقع وتخرق بوقوعها سنة الكون لا بد أن تكون أقوى من التي لا تخرق، فظهر أن مخالفة المعجزة لسنة الكون فضل لها لا عيب ونقص[٢].

❁ الردّ على تأويلهم لآية إحياء الموتى لموسى عليه السلام:

فقد أجمع المفسّرون أنه لما ذُبِحت البقرة أمرهم موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بضرب القتيل بعضو من أعضائها، فضربوه فقام، وأخبر بقاتله ثم مات، فكان ذلك آية لموسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، وحجة على المعاد.

يقول ابن كثير -رحمه الله-: «فضربوه فحيي، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوا من أمر القتيل، جعل -تبارك وتعالى- ذلك

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (٢٩/٤، ٣٠) باختصار وتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق (١٢٦/٤).

الصنيع حجة لهم على المعاد، وفاصلًا ما كان بينهم من الخصومة والعناد»[١].

❁ الردّ على من أنكر معجزات محمد ﷺ الكونية:

من الثابت عند علماء الأمة بالقرآن والسنة أن الله تعالى قد أيد رسوله محمدًا ﷺ بالعديد من المعجزات الكونية، كما أيد بها عددًا من الرسل السابقين.

ولكن أصحاب المدرسة الإصلاحية أنكروا معجزات النبي ﷺ الكونية بحجج سبق وأن بيّناها في المطلب السابق، ونأتي هنا ليتم الردّ عليهم بالأدلة العقلية والنقلية:

١. قولهم أن هذه المعجزات شبه في روايتها وتأويلها وصحتها.

- أنكروا هذه المعجزات؛ بحجة عدم صحة الروايات الصحيحة التي جاءت بها السنة؛ بغية فتح السبيل إلى رفض الروايات المتعلقة بمعجزاته ﷺ غير القرآن.

نردّ عليهم من وجهين:

- إذا كنتم تردون هذه المعجزات بحجة عدم صحتها، فماذا تقولون في معجزات النبي ﷺ التي ذكرها الله في كتابه، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[٢].

فقد تضمنت هذه الآيات إخبار الرسول ﷺ عن الغيب فيما سيقع في المستقبل؛ فالإخبار عن الغيب والإنباء به من معجزاته ﷺ[٣].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٧٨/١). وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢٣٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٥٧/١).

(٢) سورة الروم: ١-٥.

(٣) ينظر: النبوات، ابن تيمية (٥٠٧/١). وينظر: دلائل النبوة، عبد الحليم محمود (٢٤٤).

وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾[١][٢].

فآية الإسراء في القرآن صريحة غير قابلة للتردد والتلكؤ في أن الله تعالى أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾[٣].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «وقد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة»[٤].

وقال القاضي عياض -رحمه الله تعالى-: «أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته، وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه»[٥].

وبعد: فهل يحق بعد هذا للشيخ أحمد مصطفى المراغي أن يقول: «ما ادعى أحد من المسلمين إلا من شذ أن هذه المعجزة بلغت حد التواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادًا بل كانوا لا يعدون كثرة»[٦]؟!

ثم إن هؤلاء العلماء -رحمهم الله تعالى- لم يكفهم حكاية التواتر، بل أضافوا إلى هذه الردود القوية على أولئك الشاكين أو المشككين وعلى ما أورده من شبه في تلك المسألة.

قال ابن حجر: «وأما قول بعضهم: لو وقع لجاء متواترًا واشترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص بها أهل مكة، فجوابه: أن ذلك وقع ليلًا وأكثر الناس نيام، والأبواب مغلقة، وكل من يرصد السماء إلا النادر، وقد يقع

---

(١) ينظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (١٩٧/٤).

(٢) سورة الإسراء: ٤.

(٣) سورة القمر: ١. وينظر: (ص٣٢) من هذا المبحث، فقد أوردت الأحاديث الصحيحة التي تؤيد هذه المعجزة.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٤٠٨/٢).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض البسيتي (٥٤٣/١).

(٦) تفسير المراغي، أحمد المراغي (٧٧/٢٧).

بالمشاهدة في العادة أن ينكشف القمر، وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد، فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا، فلم يتأهّب غيرهم لها، ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم»[١].

والآيات في هذا كثيرة، وبهذا ثبت بطلان زعم أولئك من عدم مجيئه ﷺ بمعجزة غير القرآن.

- أن هذه الروايات ثبتت بالطرق المتواترة، ورواها جمع من الصحابة، وأُجمِع بالقطع على ثبوتها.

قال ابن حجر العسقلاني: «... وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وانشقاق القمر، ونطق الجماد... ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير، كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي، وإن كانت أفراد ذلك ظنية، وردت مورد الآحاد مع أن كثيرًا من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر، ورواه العدد الكثير والجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة؛ لعدم عنايتهم بذلك، بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظري لما كان مستبعدًا، وهو أنه لا مرية أن رواة الأخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة، ولا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك»[٢].

أما من الناحية العقلية:

- أن من شكك في صحة الأحاديث وجعلها من الشبهات، فقد لزم عليه لزومًا عقليًا بينًا هدم الركن الثاني من الأركان الأربعة التي يعتمد عليها الإسلام؛ أي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وهدم ما ينبني على

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٢٤/٧).

(٢) المرجع السابق (٦٧٣/٦، ٦٧٤).

الثاني في الثالث والرابع، فيترتب على ذلك انهدام صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجنا بانهدام ركن السنة لابتناء أحكامها التفصيلية عليها، وكون الأحاديث مبينة لإجمال القرآن ومتممة له بهذه الحيثية.

فكيف يخطر ببال مسلم أن لا يكون ما في صحيح البخاري ومسلم أو موطأ الإمام مالك أو مسند الإمام أحمد وغيرهم ممن يعتبرون أصح الكتب بعد كتاب الله، صحيحًا يمكن أن يعول عليه[١]؟! فهذا والله جناية وذنب لا يغتفر.

٢. وأما قولهم: أن محمد ﷺ كان لا يلبي طلبات قومه في إظهار المعجزات.

فنرد عليهم من وجهين:

- **أن طالبي الآيات؛ أي: المعجزات على الأنبياء يكونون في الأكثر من المعاندين عليهم، لا يريدون إلا تعجيزهم، فإذا جاءتهم لا يقتنعون بها ويطلبون غيرها، فالله تعالى لا يستجيب لمقترحاتهم ،ولا ينزل آية يستميلهم لها إلى الإيمان بنبيه، ولو شاركهم النبي في استنزالها؛ لأن الله يعلم أنهم لا يؤمنون كما قال تعالى:** ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[٢]**، فيمسك آياته عنهم ويصونها عن أن تتخذ هزوًا أو تذهب أدراج الرياح.**

وقد يكون مرامهم في طلب المعجزات اختبارًا لقدرة من يدعي النبوة على إيصالهم إلى حظوظ الدنيا الفانية وشهواتها، لا هدايتهم إلى مناهج السعادة الأبدية، فعِيبَ عليهم مطالبهم ولم يستجب لهم، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[٣].

---

(١) المرجع السابق (٤/٨٦-٩١) بتصرف يسير.

(٢) سورة يونس: ١٠١.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٦.

وإن الله تعالى لم يجب مشركي قريش إلى أكثر ما طلبوا من المعجزات رحمة بهم أن يشرك بهم العذاب عند تكذيبهم بها، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾[١].

- **أن الآيات كلها من عند الله لا يقدر محمد ﷺ على الإتيان بها من تلقاء نفسه، فيقول الله له:** ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾[٢].

فالله هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فلا يستطيع محمد ﷺ أن يأتي بمعجزة إلا بأمر الله وإرادته، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾[٣].

ليعلموا أنه ليس في استطاعة محمد أن يأتي بآية ولا يأتي بشيء إلا بإذن من ربه ورب كل شيء[٤].

٣. وقولهم: لم يذكر التاريخ أن مشركاً آمن برسالة محمد ﷺ لمعجزة من معجزاته غير القرآن.

الردّ: أن المعجزات -كما قيل- تنقسم إلى معجزة هداية ومعجزة إنذار، ومعجزة تكريم للنبي ﷺ كما في الإسراء به إلى المسجد الأقصى، فلا يلزم أن تكون المعجزة حتى معجزة الهداية ضامنة للهداية بالنسبة إلى كل زمان وكل إنسان، وهذا القرآن مع كونه في رأس معجزات الهداية ما آمن به إلا من شرح الله صدره للإسلام، فالهداية بيد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾(٥) (٦).

---

(١) سورة الإسراء: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٨.

(٣) سورة الأنعام: ٥٠.

(٤) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (١٨٥/٤- ١٨٩) بتصرف يسير وباختصار.

(٥) سورة القصص: ٥٦.

(٦) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (٨٢/٤).

وأعظم دليل عقلي يمكن ردّ فكرتهم في معجزة الأنبياء ومعجزة محمد ﷺ الكونية.

- هي عندما لم تثبتوا من المعجزات غير معجزة القرآن؛ بحجة أنها مما تخاطب العقول، فإنكار كم المعجزات غير القرآن، والتي لم يؤمن بها المسلمون إلا لأن القرآن العظيم جاء بها، فكيف تنكرون هذه المعجزات التي جاء بها القرآن؟! فيلزم من ذلك إنكار القرآن أيضًا، وعندئذٍ يتبين تقاصر عقولكم، وأن الذي دفعكم إلى الإنكار هو للتأيد الغربي ولمواكبة العصر الحديث الذي لا يؤمن بالغيبيات، لذلك وقعتم بالتناقض دون أن تشعروا، والحجج التي زعمتموها أصبحت وبالًا عليكم.

وإن أنكرتم المعجزات يلزمكم إنكار النبوة؛ لسببين:

أولها: كون المعجزة علامة النبوة فمن ينكرها فلا بد أن ينكر النبوة.

وثانيهما: أن منشأ إنكار المعجزة كونها من الأمور الغيبية مع أن النبوة نفسها التي هي اتصال خاص بالله من الأمور الغيبية أيضًا[1].

وبهذا ثبت جواز وقوع المعجزات شرعًا عقلًا، وكونها حجة قاطعة للأنبياء على أقوامهم، وثبت أيضًا معجزات أخرى له -عليه الصلاة والسلام- غير القرآن الكريم، واشتمال القرآن نفسه على ذكر بعضها ومجيء السنة النبوية الشريفة الصادقة بأخبار معجزات أخرى.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (٤/٥١٠).

خاتمة

أولًا: أهم النتائج

وعلى ضوء ما تقدَّم يمكن أن نستخلص أهم النتائج، وهي:

- **يرى رجال المدرسة أن الأصل الأول الذي يقوم عليه هذا الدين هو العقل، وتقديمه عند التعارض.**
- أن السبب في إنشاء هذه المدرسة هو ما كان المسلمين عليه من الجهل والفقر والاستبداد، فرؤوا أنه لا يمكن حل هذه المشكلة إلا بانفتاح المسلمين على الحضارة الأوروبية، وفهم الدين على أساسها.
- أن العقل والسنن الكونية والعلم الحديث أو التجربة الحسية هم الذين منعوا رجال المدرسة من إثبات المعجزات.
- أن المقصد الذي أراده رجال المدرسة من إنكار المعجزات؛ لأنها لا توافق ما يقرره العقل نتائجه ومقدماته، لذا أنكروا جميع المعجزات، وأثبتوا القرآن فقط؛ بحجة أنه جاء ليخاطب العقول، فأثبتوه لهذا الغرض.
- أن من أنكر معجزة من معجزات الأنبياء والرسل، فقد أنكر نبوتهم؛ لكون المعجزة والنبوة سيان لا يمكن قبول واحد دون الآخر.
- أدى إنكارهم لمعجزات الرسول ﷺ إلى القول بعبقريته.
- أن الروايات الصحيحة التي ذكرت معجزاته ﷺ، هي روايات متواترة السند، رواها الجمع من الصحابة، فدل على صحة ثبوتها.

ثانيًا: التوصيات

- أوصي الدعاة وطلبة العلم بتكثيف الجهود؛ لبيان خطر هذه المدرسة وغيرها ممن يسير على المنهج العقلي ويعتمد عليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد حسين، ط:٩ المملكة العربية السعودية: دار الرسالة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- الإسلام دين الفطرة والحرية، عبد العزيز جاويش، ط: بدون، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ٢٠١١م.
- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، ط:٣، دار الحداثة، ١٩٨٨م.
- الأعمال الكاملة، الإمام محمد عبده، ط:١، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، ط: ٢، لبنان: دار الكتب العلمية، (د.ت).
- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا، ط:٢، القاهرة: دار الفضيلة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط: ٢، القاهرة: دار المنار، ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ط:١، مصر: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- تفسير جزء عم، الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا، ط:٢، القاهرة: دار المنار، ١٩٤٧م.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط:٧، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٠م.
- التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، ط:٢، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط:١، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله □ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط:١ن دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:١، القاهرة: دار الكتب المصربة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- جمال الدين الأفغاني بين دارسيه، علي شلش، ط:١، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- حياة محمد، محمد حسين هيكل، ط: ١٤، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).
- دلائل النبوة، عبد الحليم محمود، ط: ١، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دارا لكتاب اللبناني، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- رائد الفكر المصري محمد عبده، عثمان أمين، ط: بدون، المجلس العلمي للثقافة، (د.ت).
- رسالة التوحيد، محمد عمارة، ط: ٣، جيزة، ميدان الكيت كات، ١٩٨٩.

- رشيد رضا، إبراهيم أحمد العدوي، ط: بدون، سلسلة أعلام العرب المؤسسة المصرية العامة، (د.ت).
- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ط: بدون، لبنان: دار الكتاب العربي، (د. ت).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى السبتي، ط:٢، عمان، دار الفيحاء، ١٤٠٧هـ.
- العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط: بدون، لبنان: دار الكتاب العربي، (د.ت).
- الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية العامة، محمد شلتوت، ط: ١٨، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، ط: ١، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد محمد بن علي بن حزم الأندلسي، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط: ٢، بيروت: دار الجيل،١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، ط: ١ بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- قصص الأنبياء، إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط: ١، القاهرة: دار التأليف، ١٣٨٨ه- ١٩٦٨م.
- محمد رشيد رضا رشيد رضا، إبراهيم أحمد العدوي، سلسلة أعلام العرب، ط: بدون، مصر: المؤسسة المصرية العامة (د.ت).
- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، ط:٢، لبنان: إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- النبوات، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، المملكة العربية السعودية: أضواء السلف، ط:١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الوحي المحمدي ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، محمد رشيد رضا، ط:٣، لبنان: عز الدين، ١٤٠٦هـ.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

- **alkhianat alwataniat fi al'adab almueasir , limuhamad husayn , ta: 9 almamlakat alearabiat alsueudiatu: dar alrisalat , 1413 ha- 1992 mi.**
- **al'iislam din alfitrat walhuriyat , lieabd aleaziz jawish , tu: bidun , bayrut: dar alkitab allubnanii , 2011 mu.**
- **al'iislam walnasraniat mae aleilm walmadaniat , limuhamad eabdih , ta: 3 , dar alhadathat , 1988 ma.**
- **al'aemal alkamilat lil'iimam muhamad eabdih , ta: 1 , alqahirati: dar alshuruq , 1414 ha- 1993 mi.**
- **'iithar alhaqi ealaa alkhalq fi radi alkhilafat 'iilaa 'usul altawhid , li'abi eabd allh muhamad bn almurtadaa alyamanii , ta: 2 , lubnan: dara likutub aleilmiat , 775 ha- 840 h .**
- **tarikh al'ustadh al'iimam alshaykh muhamad eabdih , limuhamad rashid rida , ta: 2 , alqahirata: dar alfadilat , 1427 ha- 2006 m.**
- **tafsir juz' eami , alshaykh muhamad eabdih , limuhamad rashid rida , ta: 2 , alqahirata: dar almanar , 366 hi- 1947 mi.**
- **tafsir alquran alhakim almushtahar biaism tafsir almanar , limuhamad rashid rida , ta: 2 , alqahirati: dar almanar , 1366 ha- 1947 mi.**
- **tafsir almaraghi , li'ahmad mustafaa almaraghi , ta: 1 , masri: matbaeat mustafaa alhalabi wa'awladih , 1365 hi - 1946 mi.**
- **altafsir warijaluh , limuhamad alfadil bn eashur , ta: 2 , 1390 hi , 1970 mi.**
- **altafsir walmufasirun , limuhamad husayn aldhahabii , ta: 7 , alqahiratu: maktabat wahabh , 2000 mi.**
- **hayat muhamad , limuhamad husayn hikal , tu: 14 , alqahirati: dar almaearif , (ta.du).**
- **aljamie libina' alquran , li'abi eabd allah muhamad alqurtubii , tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish , ta: 1 , alqahirata: dar alkutub almusribat , 1384 ha- 1964 mi.**
- **jamie albayan fi tawil alquran , muhamad bn jarir altabarii , tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir , ta: 1 , alqahirat , muasasat alrisalat , 1420 hi , 2000 mi.**
- **aljamie almusnad almukhtasar almukhtasar min 'umur rasul allah sly allh elyh wslm wasunanih wa'ayaamuh , limuhamad bn 'iismaeil albukharii , tahqiqu: muhamad zuhayr alnaasir , ta: 1 n dar tawq alnajaat , 1422 ha ..**
- **jamal aldiyn al'afghaniu bayn darsih , lieali shalash , ta: 1 , alqahirati: dar alshuruq , 1407 ha- 1987 mi.**

- rayid alfikr almisrii muhamad eabdih , laeuthman 'amin , bidun , almajlis aleilmii lilthaqafat , (ta.du).
- risalat altawhid , limuhamad eimarat , ta: 3 , jizat , maydan alkit kat , 1989.
- rashid rida 'iielam , li'iirahim 'ahmad aleadwii, ta: bidun silsilat 'aelam almuasasat aleamat almisriat aleamati, 281- 283.
- zueama' althawrat althawrat fi aleasr alhadith , li'ahmad 'amin , tu: bidun , lubnanu: dar alkitaab alearabii , (t. du).
- dalayil alnubuat , lieabd alhalim mahmud , ta: 1 , alqahirati: dar alkitaab almisrii , bayrut: dara likitab allubnanii , 1411 ha- 1991 mu.
- alshafa bitaerif huquq almustafaa , lieiad bn musaa alsabtii , ta: 2 , eamaan , dar alfayha' , 1407 hi.
- alearwat alwuthuqaa lijamal aldiyn al'afghanii wamuhamad eabdih , bidun , lubnanu: dara likitab alearabii , (t. du).
- alfatawaa dirasat limushkilat almuslim almueasir fi hayatih alyawmiat aleamat , limuhamad shaltut , ta: 18 , alqahirata: dar alshuruq , 1424 ha- 2004 mi.
- fath albari sharh sahih albukharii , li'ahmad bin ealiin bin hajar aleasqalanii , tahqiqu: eabd alqadir shibat alhamdu, ta: 1, alrayad: maktabat almalik fahd alwataniati, 1421 ha- 2001 ma.
- fi almalal wal'ahwa' walnahl , li'abu muhamad bin ealii bin ealiin hazm al'andalusii , tahqiqu: muhamad 'iibrahim nasr , eabd alrahman eumayrat , ta: 2 , bayrut: dar aljil , 1416 ha- 1996 mi.
- fiqh alsiyrat alnabawiat mae mujaz litarikh alkhilafat alraashidat , limuhamad saeid ramadan albutiu , ta: 1 bayrut , dar alfikr almueasir , dimashq , dar alfikr , 1411 ha- 1991 mi.
- qisas al'anbia' li'iismaeil bin eumar bin kathir albasriu tahqiqu: mustafaa eabd alwahidi, tu: 1, alqahirati: dar altaalifi, 1388 ha- 1968 mi.
- mawqif aleaql waleilm walealam min rabi alealamin waeibadih almursalin , limustafaa sabri , ta: 2 , lubnanu: 'iihya' alturath alearabii , 1401 ha- 1981 mu.
- muhamad rashid rida rashid rida , li'iirahim 'ahmad aleadawi, silsilat 'aelam alearabi, tu: bidun, masir: almuasasat almisriat aleama (ta.du).
- alnubawaat , liabn taymiat 'ahmad bin eabd alhalim alharaanii alhanbalii , tahqiqu: 'adwa' alsalaf , ta: 1 , 1420 ha- 2000 m.
- alwahy almuhamadiu thubut alnubuat alnubuat bialquran wadaewat shueub almadaniat 'iilaa al'iislam din alla'ukhuat al'iinsaniat walsalam , limuhamad rashid rida , ta: 3 , lubnan: eiz aldiyn , 1406 hu.